

أبوكاليبثو تصوير للصراع الوجودي أم رؤية إيديولوجية في السينما الأمريكية؟

Apocalypto: a portrayal of the existential conflict or an ideological vision in American cinema?

سوالمي الحبيب¹*

¹ جامعة أبو بكر بلقايد - تلمسان -، الجزائر، elhabib.soualmi@univ-tlemcen.dz

تاريخ النشر: 2023/06/26

تاريخ القبول: 2023/05/30

تاريخ الاستلام: 2023/04/04

ملخص: يتناول المقال فيلم أبوكاليبثو للمخرج ميل جيبسون بالتحليل والنقد، حيث نتطرق فيه إلى تصور السينما الأمريكية لأخر مراحل حضارة المايا، إذ يقدم الفيلم النظرة الإيديولوجية التي رسمها الرجل الأبيض حول السكان الأصليين للقارة الأمريكية باعتبارهم أناس همجيون لا يؤمنون إلا بالعنف، كما يحاول الفيلم أن يرجع سبب اندثار حضارة المايا إلى الحروب الأهلية التي كانت منتشرة في القارة الجديدة بين سكانها الأصليين والذين أطلق عليهم اسم الهنود الحمر. ويحاول صناع الفيلم أن يقولوا بطريقة غير مباشرة أن الرجل الأبيض قد جاء بالحضارة إلى القارة الجديدة ولم يكن متسببا في مأساة الهندي الأحمر. كما نتطرق في المقال إلى بعض الخلفيات التاريخية الحقيقية التي أدت إلى سيطرة الأوروبيين على القارة الأمريكية، في قراءة تضع فيلم أبوكاليبثو Apocalypto تحت مجهر النقد وذلك بمحاولة إيجاد الفرق بين التصور السينمائي الأمريكي للهنود الحمر والأسباب الموضوعية التي أدت إلى انتهاء حضارة المايا.

الكلمات المفتاحية: السينما الأمريكية، ميل جيبسون، الهنود الحمر، حضارة المايا، أبوكاليبثو.

Abstract: The article deals with the “Apocalypto” ; a movie directed by Mel Gibson. A framework of analysis and criticism is highlighted with special focus on the American cinema portrayal of the last stages of the Mayan civilization, taking into consideration ideological view drawn by the white man about the indigenous people of the American continent deemed as savage persons who only believe in violence and brutality.

The film also tries to expose the cause of the disappearance of the Mayan civilization as a fact due to the civil wars that were raging in the new continent between the native inhabitants or the Amerindian. The movie tries to give a fictional account that places the drama ahead of the historical verisimilitude. The filmmakers tend to convey implicitly that white man brought civilization to the new continent and he was not the cause of the tragedy of the natives. We also discuss some of the real historical backgrounds that led to the control of Europeans on the American continent, in a view that makes the movie under the glance of criticism looking for the difference between the American cinematic perception on the Native Americans and the genuine reasons that led to the the demise of the Mayan civilization.

Keywords: American cinema, Mel Gibson, Native Americans, Mayan civilization, Apocalypto.

* المؤلف المرسل: سوالمي الحبيب الإيميل: elhabib.soualmi@univ-tlemcen.dz

مقدمة:

حاولت السينما الأمريكية منذ نشأتها في بداية القرن العشرين إعطاء صورة سلبية جدا عن السكان الأصليين أو ما اصطلح على تسميتهم الهنود الحمر، فالتاريخ الأمريكي وما نشاهده في أفلام السينما الأمريكية إنما يصور السكان الأصليين من وجهة نظر الرجل الأوروبي الذي استعمر القارة الجديدة، حيث نراهم يقدمون السكان الأصليين للعالم في صورة الإنسان المتخلف والرجعي والوحشي، وبما أننا نعيش اليوم في عالم تحكمه علاقات إعلامية متشابكة وضخمة تصنع الرأي العام وتوجه الدول والمجتمعات وفق أطر إيديولوجية أصبح امتلاك هذه السلطة أمرا ضروريا وملحا" (الحبيب، 2018)، لذا تعد السينما من أهم الروافد التي تساعد المنظومة الإعلامية العالمية على فرض هيمنتها الإيديولوجية، ولعل أبرز الأفلام التي تظهر هذه النظرة تجاه الهنود الحمر، فيلم Apocalypto الذي يحكي عن قبيلة من السكان الأصليين للقارة الأمريكية كانت تعيش حياة بدائية بسيطة، إلى أن تعرضوا لغزو من جنود المايا فاغتصبوا نساءهم وأسروا رجالهم، وأخذوا مكتوفي الأيدي للتضحية بهم من أجل إرضاء آلهتهم، فهل فعلا كانت هذه هي طبيعة السكان الأصليين لقارة أمريكا، أم أن السينما الأمريكية تحاول أن تبرز جوانب لا علاقة لها بتاريخ المايا، كي تظهر الرجل الأوروبي في صورة صانع الحضارة؟

هذا ما سيحاول المقال الإجابة عنه من خلال إمطة اللثام عن شذرات من تاريخ أمريكا قبل دخول الأوروبيين إليها وطبيعة الصراع حول الأرض، ثم نتناول بالنقد فيلم Apocalypto من عدة نواحي وخاصة الناحيتين الفنية والإيديولوجية.

يهدف هذا المقال إلى تناول مشكلة الصورة التي دأب الأوروبيين على نشرها في الأوساط الأوروبية بداية والعالمية فيما بعد عن طريق استخدام السينما باعتبارها وسيلة إعلامية وفنية ذائعة الانتشار، كما نهدف إلى تناول فيلم أبوكاليتو بالنقد من الجانبين الفني والفكري، ومدى تماهي هذا الفيلم مع هذا الجانب أو ذاك لذا اعتمدنا على منهج وصفي ومقاربة تحليلية لإظهار الإيديولوجيا الفنية والفكرية التي يحملها الفيلم بين طياته.

1. الرجل الأبيض وصراع القوة في القارة الجديدة:

يعتبر عام 1492، سنة وصول المكتشف كريستوف كولومبس إلى القارة الجديدة، حيث انطلقت ثلاث سفن هي: santa maria-pinta و nina إلى إحدى جزر الباهاما حاملا راية إسبانيا، وقد اعتقد أنه في إحدى مناطق آسيا (نعني، 1973).

بعد وفاة كريستوف كولومبس ظهر مكتشف آخر هو أمريكو فيسبوتشي Amérique vespucci إيطالي الجنسية والذي أكد أنه قد اكتشف أرضا جديدة، حيث قام بمجموعة من الرحلات لصالح إسبانيا والبرتغال حتى

وصل بين عامي 1501 و1502 إلى مصب نهر لابالاتا في الأرجنتين فلم يجد أي تشابه بين الشواطئ التي اكتشفها وشواطئ الهند في آسيا، فأرسل مجموعة من الرسائل إلى أوروبا قام بنشرها العالم الألزاسي woldsee Muller مفادها أن أمريكيو قد اكتشف قارة جديدة فتم بهذا إطلاق اسمه عليها (نعني، 1973).

وفي مرحلة تالية تولى الإسباني Cortez تنظيم حملات إلى شبه جزيرة يوكاتان yokatan. ولكنه واجه مقاومة شرسة من أهل هذه الجزيرة الأصليين، الذين دافعوا عن أرضهم غير أنه استطاع التفوق عليهم نظرا لقوة العتاد والسلاح الذي كان معه، فراح ضحية هذه الحملة الآلاف من سكان الأزتيك حسب المؤرخين، هذه الأخيرة بدأت بالزوال وهي أهم تجمع سكاني كان في القارة الجديدة (نعني، 1973).

أما بالنسبة لمجتمع الإنكا inka التي كان مقرها بين البيرو وبوليفيا فقد قامت فيها عدة معارك بين قائد الإنكا أتاهاوالبا Atahualpa والإسباني فرانسيسكو بيزارو Francisco Pizarro الذي تولى حملة باسم الإمبراطورية الإسبانية لغزو هذه البلاد، هذا الأخير استغل الحرب الأهلية التي كانت تعاني منها إمبراطورية الإنكا والأوبئة الفتاكة، فاستطاع برفقة عدد قليل من الجنود زرع الخوف والذعر بين السكان الأصليين على كثرتهم، وبعد مقاومة كبيرة استطاع رجال Pizarro قتل خمسة آلاف جندي من الإنكا في ساعة واحدة، وتم القبض على قائدهم أتاهاوالبا Atahualpa، فاستسلم أهل الإنكا وأعلن القائد الإسباني أخذ البلاد باسم العرش الإسباني سنة 1535 م (بن مسعود، 2023)

2. الصراع الإنجليزي الفرنسي على القارة الجديدة:

لم تبدأ إنجلترا في استعمار أمريكا إلا في مطلع القرن السابع عشر، فقد كانوا قبل هذا التاريخ منشغلين بمشاكلهم الداخلية زمن ملوكهم هنري الثامن وإدوارد السادس، ولكن زمن ملكتهم إليزابيث 1558-1603 م بدأ التفكير بجدية في دخول الأرض الجديدة ومنافسة الإسبان والبرتغال على خيرات هذه القارة، ومع بداية اهتمام الإنجليز بصناعة السفن الكبيرة والحربية بدأت القوة العسكرية الإنجليزية في التزايد، وظهرت شركات إنجليزية تهدف إلى تشجيع حركة الاستيطان في قارة أمريكا، فظهرت أول مدينة إنجليزية في أمريكا سنة 1607 (نعني، 1973). وبعد وفاة الملكة إليزابيث خلفها على العرش الملك جيمس الأول الذي اعتبر أن من حقه أن يرث كل الشاطئ الشرقي لأمريكا الشمالية، وأعطى الضوء الأخضر لشركة لندن من أجل بناء مستعمرات على تلك الأراضي سنة 1606م فتأسست أول مدينة إنجليزية اسمها جامستون التي أصبح اسمها فرجينيا سنة 1620م (Haies, 2023). ثم تأسست ما عرف بمستعمرات الشمال "إنجلترا الجديدة" والمتمثلة في نيوهامشاير، مساتشوسيتس... وكذا مستعمرات الجنوب وهي ميرلاند، فيرجينيا، كارولينا الجنوبية وجورجيا، ثم المستعمرات الوسطى وهي نيويورك، نيو جيرسي، وبنسلفانيا (نعني، 1973).

في هذا الوقت كان الفرنسيون قد وضعوا أقدامهم في شمال القارة، أو ما يعرف حالياً بكندا، وكذا وادي المسيسيبي، ومع تقاطع مصلحة كل من الإنجليز والفرنسيين، بدأ الاصطدام بينهما فقامت مع مطلع القرن الثامن عشر حروب فاصلة من أجل الإستلاء على أراضي القارة الجديدة، وقد كانت حرب عصابة أغسبورغ بين سنتي 1689 و1697 م التي استولى فيها الإنجليز على بورت رويال إيذانا ببداية هذه الحروب، ثم تلتها حرب الخلافة النمساوية بين سنتي 1743 و1748 م، وكان من أبرز نتائجها أن السكان الأصليين قد تحولوا من التعامل اقتصادياً مع الفرنسيين إلى الإنجليز، بعدها قامت حرب السبع سنوات في أوروبا سنة 1756م التي انتهت بهزيمة فرنسا وتنازلها عن جل أراضيها في كندا والمسيسيبي لصالح إنجلترا (نغني، 1973)، في حين كان السكان الأصليون يعانون الأمرين من سطوة الأوروبيين بمختلف أعراقهم على أراضيهم.

3. صراع الوجود بين الإنجليز والسكان الأصليين (الهنود الحمر):

عندما وصل الإنجليز إلى أمريكا الشمالية كانت هناك مجموعة من قبائل السكان الأصليين يعيشون على الصيد وبعض الزراعات البدائية، فلم يستقبلوا هؤلاء الزوار بعدائية، بل كانوا يرغبون في بناء علاقات تجارية قائمة على السلم معهم، ولم يعارضوا نزول المهاجرين الإنجليز على أراضيهم، غير أن الأوروبيين وعلى رأسهم الإنجليز، كانوا منذ البداية يسعون لتملك الأراضي عن طريق اتفاقيات ورقية كان السكان الأصليون يصمون عليها نظراً لجهلهم محتواها، وبعد سنوات بدأ السكان الأصليون يدركون خطر تلك الاتفاقيات، بعد وقوع مجموعة من الجرائم في حقهم، تلك الجرائم كانت في البداية فردية ثم تحولت إلى مجازر جماعية، ومن هنا بدأت نيران الحرب تشتعل بين الأوروبيين والسكان الأصليين، والتي دامت ما يقارب القرنين من الزمن، واتسمت هذه الحروب بمراحل من الكر والفر يمكن إجمالها في محطات ثلاث: (نغني، 1973)

المرحلة الأولى: في هذه المرحلة كان السكان الأصليون هم المبادرين إلى العنف، نظراً لشعورهم بأن مصالحهم أصبحت مهددة، حيث نظم "أوبيشانكانوا"، وهو زعيم إتحاد القبائل القاطنة حول مستعمرة فرجينيا هجوماً في سنة 1622 م قتل خلالها 346 مهاجراً إنجليزياً، دامت بعدها الحرب ما يزيد عن 14 عاماً ولم تنته هذه الحرب إلى بالقبض على هذا الزعيم وإعدامه، وفي سنة 1637م اشتعلت نيران الحرب التي سميت بحرب البيكو، إذ تسلل القائد الإنجليزي ماسون مع فريق من جنوده نحو قبيلة البيكو فحاصرها وأضرموا النيران فيها، وكانت حصيلة هذا الهجوم إحراق مئات الرجال والنساء والأطفال، حيث أزالها نهائياً من الوجود (التاريخ الإستعماري للولايات المتحدة ، 2023).

المرحلة الثانية: في هذه المرحلة بدأ السكان الأصليون (الهنود الحمر) بالتفكير في التوحد ونبذ الخلافات التي كانت قائمة بينهم نتيجة تزايد عدد المهاجرين الأوروبيين وتكاثر مستعمراتهم، فشن السكان الأصليون بين

سنتي 1675-1715م ثلاثة حروب ضد الأوروبيين، أشهر هذه الحروب حرب الملك فليب 1675 م التي قامت ضد مستعمرة بليموث، وقد سميت بهذا الاسم لأن الأوروبيين أطلقوا اسم الملك فليب على ميتاكوميت، زعيم قبائل السكان الأصليين (الهنود الحمر) (نعني، 1973).

وقد استمر في هذه المرحلة حرق الأوروبيين للقرى والمزارع الهندية طيلة صيف وخريف ذلك العام، ولم تنته هذه الحرب إلا بمقتل الزعيم الهندي سنة 1676م، وامتازت هذه المرحلة بانتشار حرب العصابات التي كان يشنها السكان الأصليون دفاعاً عن أراضيهم (نعني، 1973).

المرحلة الثالثة: في هذه المرحلة بدأ التنافس بين الفرنسيين والإنجليز على إغراء السكان الأصليين قصد الحصول على ولائهم في الحروب التي اندلعت بينهما، فسّح الفرنسيون القبائل الهندية المتواجدة في الشمال، أما القبائل المتواجدة في الوسط والجنوب فقد وقفت إلى جانب الإنجليز. لكن مع انتهاء الحرب بين الإمبراطوريتين الفرنسية والإنجليزية والتي كان الانتصار فيها للإنجليز، بدأت ثورات كبيرة قام بها السكان الأصليون ضد الإنجليز الذين بدؤوا يتوغلون في الغرب الأمريكي، هذه الثورات لم تكن في الحقيقة سوى مجازر دموية لا أخلاقية ارتكبتها الإنجليز ضد شعوب مسالمة لم يكن همها سوى الدفاع عن أرضها.

وخلاصة القول أن تلك الحروب الضارية التي كان أولها حرب البيكوت سنة 1637م، ثم حرب الناغراناست بين عامي 1643-1645 م، ثم الحروب التي اندلعت بين المستعمرين الفرنسيين والإنجليز والتي راح ضحيتها مئات الآلاف من السكان الأصليين، ثم حرب الاوتوا، وحرب النوسكارورا..... وحروب كثيرة غيرها ختمت بمجزرة ووند دوني في داكوتا الجنوبية سنة 1890 م، هذه الحروب التي ادعى فيها المؤرخ الأوروبي المنحاز أنها كانت حروباً أخلاقية وأن الرجل الأبيض لم يعتدي على السكان الأصليين إلا عند الضرورة، في الحقيقة كانت مجازر إبادة ضد السكان الأصليين الذين كانوا في يوم ما هم الأسياد على كافة أرجاء القارة الجديدة (بلعوالي، 2023).

هذا عن التاريخ فماذا عن السينما الأمريكية وكيف صورت لنا السكان الأصليين، هل كان تصويرها موضوعياً أو تماهت مع سطوة الرجل الأوروبي؟

لقد صورت السينما الأمريكية سواء القديمة منها أو الحديثة السكان الأصليين أو ما اصطلح على تسميتهم بالهنود الحمر، تصويراً متبايناً بين إنصافهم تارة والتجني عليهم مرات، وقد كان للشركات الاحتكارية التي سيطرت على هذا المجال باعاً طويلاً في التجني على السكان الأصليين، وخاصة في أفلام رعاة البقر "cowboy" هذا المصطلح الذي تعدى في دلالاته مفهوم راعي البقر؛ فهو كما تصوره السينما لا يطبق السكون، ودائم البحث عن الثروة والمجد، وهذا السلوك هو الذي يبرره نيتشه في مفهومه للصراع من أجل السيطرة

والتفوق، هذه الحركية تجعل الرجل الأبيض يصطدم مع الآخر (الحبيب، 2018). أما حديثاً وبخاصة في مطلع القرن الواحد والعشرين فقد ظهرت أفلام تتماهى مع قضايا السكان الأصليين فتحاول تبرير زوال الهنود الحمر وتردها إلى أسباب داخلية لا علاقة للأوروبيين بها، ومن الأفلام التي كان لها صدا كبيرا ورواجا منقطع النظير فيلم apocalypto الذي صور الصراع بين قبائل الإنكا قبيل دخول الرجل الاوروبي إلى القارة الجديدة.

4. apocalypto وتصوير الصراع الوجودي بين قبائل السكان الأصليين:

ملخص الفيلم: ترجمت كلمة apocalypto في اللغة العربية إلى مصلح النبوءة أو نهاية العالم، ومن خلال هذه الترجمة تظهر إيديولوجية الرجل الأبيض الذي دائماً ما يجعل نفسه في مستوى أعلى حاملاً لرسالة الحضارة إلى أقوام انتهى وجودهم الثقافي وما عليهم سوى التعايش مع الحضارة الجديدة والقبول بالأمر الواقع، حيث يحيلنا العنوان إلى نهاية تاريخ السكان الأصليين أو الهنود الحمر وبداية تاريخ جديد، فالفيلم يروي قصة إحدى آخر شعوب المايا قبل وصول المستكشف كريستوف كولومبوس إلى قارة أمريكا، هذه القبيلة كانت تعيش حياة بدائية بسيطة في سعادة وتكاتف، إذ يؤمنون قوت يومهم عن طريق الصيد في الغابات، إلى أن يأتي يوم مشؤوم يتعرضون فيه للغزو من طرف رجال المايا، حيث تغتصب نساؤهم ويقتل رجالهم، في هذه الأثناء وبينما تتعرض القبيلة لهذا الهجوم الشرس، يتمكن بطل الفيلم الملقب "بمخلب الجاغوار" من إنقاذ زوجته الحامل وابنه، ويخبئهما في بئر عميق، ثم يعود للدفاع عن أهل قبيلته، غير أنه يؤسر ويُقتاد هو ومن معه إلى معقل الأعداء حتى يقدمون قرابين للآلهة.

يصور الفيلم بعد هذا مشهداً مربعاً لطقوس القبيلة المعتدية، حيث يجتمع أهل القبيلة أمام معبد الآلهة، يتراقصون ويقدمون رؤوس الأسرى قرابين لها، بطريقة بشعة إذ يتم إعدام الضحايا ورمي رؤوسهم من أعلى هرم الآلهة، يعاني بطل الفيلم رفقة زملائه عذابات مريرة في طريقهم إلى الموت، يستسلم البطل لقدره ويمد رقبته لتقطع، ولكن يحدث أمر جلل يتمثل في كسوف الشمس، فيعتقد كهنة المعبد أن الآلهة قد اكتفت من القرابين البشرية ورضيت عنهم، فينجو البطل من الذبح، هنا يبدأ البطل "مخلب الجاغوار" بالتفكير في زوجته التي تركها حامل، وفي ابنه الصغير، وكيف يمكنه النجاة من هذا المأزق وإنقاذ عائلته.

في المشهد الذي يلي هذا المشهد يتم أخذ البطل ومن بقي معه على قيد الحياة إلى ساحة ممتدة تنتهي بحقل ذرة، فتفك قيودهم ويطلب منهم الجري إلى آخر الساحة ومن استطاع الوصول إلى حقل الذرة ينجو بحياته، إذ يجعلونهم في مرمى سهامهم، فيموت ما تبقى له من أصدقاء، ويستطيع هو النجاة بفضل تضحية أحد أصدقائه بنفسه من أجله، وتبدأ رحلة جديدة من هروب البطل في الجبال والغابات ومحاولة رد الاعتبار

لنفسه ولقبيلته، وإنقاذ زوجته وابنه، فنشاهد مشاهد مثيرة وعنيفة ومعارك حامية الوطيس بين البطل وأفراد القبيلة المعتدية عليه وسط الغابات، ليتمكن أخيرا من إنقاذ زوجته وابنه.

وفي آخر مشهد من الفيلم وبينما يهم هذا البطل بالتأثر لقبيلته وقتل المعتدين عليه، والذين هم في الأصل أبناء جلدته، يرى سفنا على ظهرها أناس غرباء يلبسون ملابس أنيقة ويحملون الكتاب المقدس "الإنجيل"، هؤلاء الغرباء هم المستكشفون الأوروبيون الذين جاؤوا إلى هذه الأرض، حاملين الحضارة والعلم من وجهة نظر الفيلم، إلى أناس همهم الوحيد هو القتل والعنف.

لقد حقق الفيلم في الأخير معنى العنوان "نهاية العالم" أو "النبؤة"، فهو يصور نهاية مرحلة وحضارة بسبب تفتتها وكثرة الظلم فيها، وبداية الحضارة الأوروبية في القارة الجديدة، ولعل أهم جملة قيلت في الفيلم توضح هذه الفكرة هو جملة كتبها المخرج في بداية الفيلم " الحضارة لن تنتهي إلا إذا دمرت نفسها بنفسها".

البطاقة الفنية للفيلم:

العنوان: apocalypso

الإخراج: ميل غيبسون

كتابة السيناريو: ميل غيبسون، فرهارد سافينيا Mel Gibson et Farhard safinia

المنتج: Bruce davey- Mel Gibson

شركة الإنتاج: Icon productions

الممثلون:

دور البطولة: Rudy young blood في دور Jaguar paw

أهم الشخصيات في الفيلم:

Dallahernadez في دور Seven

Janathan brewer في دور Blunted

Morrisbirdyellow head في دور Funtsky

Carlos emillo baez في دور Turtlesrun

5- التحليل الفني والفكري للفيلم:

يبدأ الفيلم بجملة مهمة جدا يقول المخرج: "الحضارة لن تنتهي إلا إذا دمرت نفسها بنفسها"، فكل أمة مستعمرة إنما استعمرت لوجود ضعف في مكنوناتها الداخلية، ومن أهم أسباب انحدار الحضارات وانكسارها، وقبولها للمستعمر إنما هي الفتنة الداخلية التي تفرق بين المواطنين إما على أساس العرق أو الدين أو الجنس... الخ. وهذا ما يعطي العدو جسارة وجراً على النفاذ إلى قلبها واحتلالها، ثم السيطرة عليها سيطرة تامة، وهذا ما سماه المفكر الجزائري "القابلية للإستعمار"، فساحة الاستعمار تكون قادرة على أن تجد متسعا لها في فراغ طبقة القابلية للإستعمار (بن نبي، 2011).

أخذ المخرج هذا المعنى تحديداً وقام بصياغته في شكل جميل وممتع، في فيلم Apocalypto الذي بدأ رحلته في صالات السينما الأمريكية ثم العالمية، واقتحم منذ عروضه الأولى قائمة ترشيحات الغولدن غلوب عن فئة أحسن فيلم أجنبي سنة 2006.

لقد أبدع المخرج في صناعة هذا الفيلم المثير والحابس للأنفاس، من خلال تميزه كمخرج، وتعزيزاً لنجاحاته السابقة في فلميه السابقين القلب الشجاع وآلام المسيح، ويعود هذا للالتزامه بالقضايا الإنسانية التي يتطرق إليها، فقد سبق له أن أثار جدلاً واسعاً في الأوساط اليهودية عند إطلاق فيلمه آلام المسيح، وكذلك في فيلم القلب الشجاع.

وبالعودة لفيلم Apocalypto فإنه يتسم بقوة ومتانة في حبكة السيناريو، على الرغم من الأحداث الخيالية التي كانت فيه، إذن نلاحظ فيه مزجا بين رومانسية بطل القلب الشجاع، وعذابات وآلام المسيح، فبطل فيلم Apocalypto مخلب الجاغوار عندما أُسر وأثناء ترحيله من قبيلته إلى مكان إعدامه تشبه آلامه إلى حد كبير آلام المسيح في رحلة صلبه، والشبه هنا ليس في طبيعة الشخصيتان، بل في الآلام التي عاناها كل من المسيح وبطل الفيلم مخلب الجاغوار، أما إصرار البطل على العودة إلى زوجته وإنقاذها ثم هروبه ورحلة المطاردة التي عاشها، فإنها تذكرنا بإصرار ويليام ولاس على الثأر لمقتل حبيبته، غير أن ما ميز فيلم أبوكاليتو هو اعتماده على مبدأ الإثارة الخارقة والتشويق المتصاعد، وذلك بتركيزه الشديد على رحلة الهروب، فالحدث هنا بسيط وواضح ولكنه يتميز بقدره كبيرة على التخيل، فميل غيبسون في الفيلمين السابقين الذكر كان مقيدا بأحداث تاريخية، بينما في هذا الفيلم ترك العنان لمخيلته فانتجت لنا سيناريو جريء وممتع للغاية، فعلى طول الفيلم لم يمنح للبطل فرصة لالتقاط أنفاسه، فلا يكاد البطل يخرج من مأزق إلا وجثمت على صدره مأزق أخرى، ومن جهة أخرى، فقد استطاع المخرج وسط هذا الكم الكبير من الدمار والوحشية المفرطة صنع لحظات إنسانية ورومانسية مؤثرة، فمزج اللطف والوداعة بالألم والبشاعة، كما تكمن جمالية الفيلم في السيناريو المحبوك، فعلى

الرغم من بساطته، إلا أنه أستطاع أن يظهر متعة كبيرة من خلال تواتر الأحداث، كما بعث برسائل متعددة، أهمها ما نشاهده في جنيريك بداية الفيلم الذي بدأه المخرج بعبارة "الحضارة لن تنتهي إلا إذا دمرت نفسها بنفسها"، فهو يقول للمتلقي أن الاستعمار هو حتمية للأمم التي تفتت نفسها بنفسها، وأن سبب كل بلاء هو الصراعات الداخلية للدول، بعدها يجد المشاهد نفسه أمام نسق آخر تماما، وهو رحلة الهروب والصراع من أجل البقاء، فيتساءل المتفرج ما علاقة تلك الجملة بالأحداث الواقعة في الفيلم؟ (المطيري، 2006).

لقد قام المخرج بإخفاء الفكرة، حتى يمنح الفرصة للمشاهد كي يحلل بحرية تامة أحداث الفيلم، لكنه يعود في نهاية الفيلم ويصور السفن الإسبانية والرجل الأوروبي على ظهرها، فيعود المتفرج مباشرة ليتذكر ما كتب في جنيريك بداية الفيلم، ويتذكر عنوان الفيلم Apocalypso وهو اسم جاء نتيجة مزج بين كلمتين هما Apocalypsis و Apocalyps واللذان تعنيان النبوة ونهاية العالم (المطيري، 2006).

وكما سبق الذكر تدور أحداث Apocalypso خلال السنوات الأخيرة لحضارة المايا، إذ يحكي لنا قصة أناس يعانون من انتشار الأمراض ونقص المحاصيل الزراعية. شعب يعيش الحزن والمأساة فيقرر كهنة المعبد وحكام المايا التقرب إلى الآلهة بالتضحية ببعض الناس من قبائل متفرقة. فيغزون قبيلة صغيرة لإحضار الضحايا الذين سيكونون قربانا للآلهة ويقع اختيارهم على القبيلة التي ينتمي إليها بطل الفيلم مخلب الجاغوار Jaguar Paw. حيث يسحل البطل رفقة مجموعة من رفاقه بعيداً عن عائلته، ويشاهد قبيلته مدمرة، وبعد أن اقتنع الحكام والكهنة بأن الآلهة قد رضت عنهم سمح بالإفراج عن الأسرى الذين لم يقتلوا بعد، ولكن مجموعة من الجنود المرتزقة يأخذونهم ليتسلوا بهم في ساحة أمام المعبد فيقتل مخلب الجاغوار ابن أسر Zero Wolf، ويحاول الركض إلى الحرية. ومع ذلك، فإن Zero Wolf وجنوده لن يسمحوا له بالحرية بسهولة فيبقى البطل هارب ليس من أجل عائلته فقط بل من أجل البقاء حيا.

فقصة فيلم أبوكاليتو في حقيقتها هي قصة صراع من أجل البقاء، حيث يخبرنا الفيلم بفكرة تاريخية عظيمة في تاريخ قارة أمريكا، مؤداها نهاية حضارة بفعل شراسة الحروب الأهلية التي كانت بين أهلها، وبداية ظهور حضارة أخرى يمثلها الرجل الأبيض أو الأوروبي.

1.5 تحليل الرسالة البصرية للفيلم:

1.1.5 وصف الرسالة:

لقد كان المرسل هو المخرج ميل غيبسون، الذي عرف بنوعية من الأفلام طالما أثارت الجدل سواء تلك التي كان فيها ممثلاً أو مخرجاً، كما أن هذا المرسل معروف عليه الالتزام في أفلامه بالقضايا الإنسانية وكثيراً ما يقدم رسائل سياسية وإيديولوجية في إنتاجاته السينمائية.

أما الرسالة فهي الفيلم في حد ذاته أبوكاليتو، والذي صدر لقاءات السينما سنة 2006، وهو عبارة عن صور حية تحكي مرحلة تاريخية مؤلمة للسكان الأصليين في قارة أمريكا، أو ما اصطلح على تسميتهم (الهنود الحمر)، حيث يبعث لنا الفيلم شفرات متعددة لسبب سقوط تلك الحضارة (حضارة المايا) قبل دخول الرجل الأوروبي، ومن جهة أخرى كأن المخرج يريد أن يقول من خلال هذا الفيلم أن الهندي الأحمر كان متخلفا وعنيفا مع أخيه وابن جلدته، وأن الرجل الأوروبي قد جاء بالحضارة وأنقذ أولئك الأوباش من خطر إفناء بعضهم البعض، وهي رسالة إيديولوجية بحتة تبين عقدة التفوق عند الرجل الأبيض.

أما محاور هذه الرسالة فإنها تأخذ أبعادا متداخلة، حيث تتشابك الأحداث لتنتج صور فنية مثيرة تجسد العذابات التي كان يعيشها السكان الأصليون من وجهة نظر الرجل الأبيض دائما، ولكنه بفعل متانة السيناريو، وإتقان الممثلين لأدوارهم يجعلك تقتنع تمام الإقتناع لحظيا بالفكرة التي يريد أن يقنعك بها، إذ صور فساد العلاقات البينية بين السكان الأصليين للقارة الجديدة، من خلال العادات البائسة التي صورها، كما اعتمد على اللونين الأحمر والأزرق بالدرجة الأولى ثم اللون الأخضر في الدرجة الثانية، ويغلب اللون الأحمر على جل لقطات الفيلم أو بالأحرى على اللقطات المهمة في الفيلم، وهذا اللون يحيل دائما إلى العنف وإراقة الدم والمأساة والظلم، أما اللون الأزرق فيحيل إلى العادات البائسة التي كانت تحكم الهنود الحمر أثناء تقديم القرابين، حيث تلطخ أجساد الضحايا باللون الأزرق لون السماء اعتقادا منهم أن في ذلك رضا للآلهة، ويأتي في الأخير اللون الأخضر الذي استعمل لسببين، أما السبب الأول فهو تقني لأن الأحداث تجري في الغابات والجبال، ثم السبب الثاني الذي يريد من ورائه المخرج أن يقول أن دائما هناك أمل في الحياة.

لقد أنتج الفيلم في أمريكا في سنوات الألفية الجديدة، هذا المرحلة كانت تتسم بالتخوف الكبير للمجتمع الأمريكي من ظاهرة تجلت في تلك المرحلة وهي الإرهاب العالمي، ويحاول الفيلم أن يبرئ الرجل الأبيض من دم السكان الأصليين حتى لا يفكروا في الانتقام لأجدادهم، وكأن صاحب الفيلم يريد أن يقول أن سبب اندثار الهنود الحمر إنما هو ضعفهم وتشردهم وحروبهم على بعضهم البعض، وأن الرجل الأبيض ما هو إلا رجل جاء بالحضارة إلى هذه القارة التي كانت تعيش أحلك أيامها فأنقذها من الضياع. وكأنني به بوعي أو بدون وعي يريد المخرج أن يبرر للمآسي التي تحدث حاليا في الشرق الأوسط، بفعل الصراعات بين أبناء الوطن الواحد، وأن الجندي الأمريكي عندما دخل إلى الشرق الأوسط (العراق، سوريا، فلسطين، ليبيا... الخ) إنما دخل لإرساء السلام وتقديم يد العون لهؤلاء الإرهابيين الذين لا يعرفون سوى العنف والقتل وهذا الإرهاب ينطلق دائما من المعتقد الديني، في حين أن كل بقعة دخلها المارينز في الشرق الأوسط لم تعرف السلام، ولن تعرفه إلا بعودة الجندي الأمريكي إلى بلاده.

ومن الناحية الثقافية والاجتماعية، فإن الفيلم يتعرض لطبيعة العلاقات بين السكان الأصليين قبيل دخول الأوروبيين، فيصور الجانب الاجتماعي ويبين كيفية الصيد والاحتفال عند السكان الأصليين، كما أنه أراد أن يوصل رسالة ثقافية مفادها أن الهنود الحمر كانوا يعيشون حياة متخلفة تسيطر عليهم الخزعات الوثنية والخرافات فكانت ترتكب المجازر من أجل عادات وتقاليد فاسدة لا تسمن ولا تغني من جوع.

2.5 التحليل الفيلمي للقطات مختارة:

الصورة الاولى:



المصدر: فيلم أبوكاليتو: https://www.youtube.com/watch?v=KR_tyKUXHU8 الدقيقة 2. و 23 ثانية.

يبدأ الفيلم بمشاهد تبين الحياة البسيطة التي كان يعيشها أهل القبيلة، والتي تعتمد على الصيد والزراعة حيث نلاحظ من خلال هذه الصورة بطل الفيلم وهو يقسم الفريسة التي اصطادها مع أصدقائه، فقد اجتمع هؤلاء الشباب وسط تلك الغابة الكثيفة من أجل اقتسام الصيد بينهم، وفي ذلك دلالة على أن أهل هذه القبيلة متأزرون بينهم حيث يظهرون في غاية السعادة، لأنهم استطاعوا الحصول على مرادهم، ونلاحظ هنا طغيان اللون الأخضر على المشهد، وفي ذلك دلالة على بساطة الحياة، والأمل الذي يحذو أهل القبيلة. زيادة على ذلك فإن الأزياء التي يلبسونها توحي بما لا يدع مجالا للشك بأنهم يعيشون خارج التاريخ والمدنية، فهم عراة إلا من العورة المغلظة، مثل هؤلاء لا يمكن لهم أن يصنعوا الحضارة، وما عليهم سوى الانقياد أو الاندثار وهذا ربما ما يريد أن يقوله المخرج بطريقة غير مباشرة فيما بين سطور الفيلم.

الصورة الثانية:



المصدر: فيلم أبوكاليتو: https://www.youtube.com/watch?v=KR_tyKUXHU8 الدقيقة 06:32 إلى الدقيقة 7:20.

في هذا المشهد يجتمع أهل القبيلة، على الصيد الذي اصطادوه، ويتحلقون حوله ويشعلون النار ثم يأتي كبير القبيلة ليعرضهم، بعدها تبدأ حفلة الرقص استمتعا بما ضفروا به من نعمة، هذا المشهد أراد من خلاله المخرج أن يظهر للمتلقي العادات التي كانت سائدة عند الهنود الحمر، فالرقصات الجماعية، وقصص كبير القبيلة، إنما تعبر عن ثقافة كانت سائدة عند السكان الأصليين في تلك المرحلة الزمنية، ثم إن هذا المشهد إنما أراد من خلاله المخرج أن يقول، أن سكان أمريكا الأصليين وإلى غاية نهاية القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر، كان لا يزال مجتمعا قريبا لا وجود لحضارة مدنية فيه، فمثل هذه المشاهد تقرأ في كتب التاريخ على أنها للإنسان الحجري الذي لم يكن قد اكتشف التاريخ بعد، فهل كان كل سكان أمريكا الأصليين يعيشون كما صور لنا الفيلم هذه القبيلة، أكيد لا والدليل على ذلك هو الحفريات الأثرية التي وجدت في أمريكا اللاتينية، والتي تبرز مدنية المايا التي كانت حضارة قائمة بذاتها.

الصورة الثالثة:



المصدر: فيلم أبوكاليتو: https://www.youtube.com/watch?v=KR_tyKUXHU الدقيقة 7.08 ثواني

يبدأ هذا المشهد، حينما تشاهد الزوجة زوجها مستغرقا في التفكير، فتسأله لماذا هذا السهو عن الاحتفالات، فيبيدي لها قلقه من المستقبل، وبأنه خائف عليها لأنها حامل، ويخاف أن يحدث له شيء وتبقى وراءه بدون حماية، فتهدئ من روعه في مشهد رومنسي وسط أفراح القبيلة التي يعيشان فيها، نكتشف كذلك من خلال هذا المشهد والحوار الذي دار بين البطل "مخلب الجاغوار وزوجته" أن المخرج يمهّد للأحداث المثيرة التي ستأتي بعد هذه الاحتفالية، والتي سوف تشد المتلقي إلى غاية نهاية الفيلم، فبعد هذه الاحتفالية التي بدأ بها المخرج فيلمه، بدأت مرحلة الانقلاب في الفيلم أو مرحلة التعرف والتحول، بمعنى معرفة أسباب تخوف البطل أثناء حديثه مع زوجته، ثم التحول من حال السعادة إلى حال الشقاء، وهو ما سنجده في المشاهد التالية.

الصورة الرابعة:



المصدر: فيلم أبوكاليتو: https://www.youtube.com/watch?v=KR_tyKUXHU الدقيقة 7.41 ثانية.

يبدو لنا من خلال هذه الصورة رجل وهو يحمل أحشائه بيده، مبطون ويصرخ وقد دار بينه وبين بطل الفيلم "مخلب الجاغوار" حوار يصر فيه هذا الرجل على البطل بأن يهرب سريعا، وأن يجري ولا يلتفت وراءه، فيقوم البطل من نومه مفزوعا، ما يفيد أن هذه الصورة أو هذا المشهد كان رؤية رآها البطل، وهي رؤية تمهد لما سيجري له ولقبيلته، قبل أن يغزوهم أفراد قبيلة المايا، وقد طغى اللون الأحمر على هذا المشهد، وفيه دلالة على العنف والدموية التي كان يعيشها السكان الأصليون لقارة أمريكا، كما تدل الأحشاء التي يحملها هذا الشخص على العذابات التي سيعيشها بطل الفيلم وأهل قبيلته، وهو بالفعل ما حصل بعد الاعتداء الذي تعرضوا له من طرف مجموعة من المقاتلين التابعين لإمبراطورية المايا، التي كانت تتقرب للآلهة الشمس بقتل الناس ورميهم من أعلى هرم المعبد.

الصورة الخامسة والسادسة:



المصدر: فيلم أبوكاليتو https://www.youtube.com/watch?v=KR_tyKUXHUS الدقيقة 09.54 والدقيقة ..

بعد هذا المشهد مباشرة تتعرض قبيلة البطل لهجوم وحشي شرس، لم يبق ولم يذر، فقتل الغزاة كل من قاوم من نساء ورجال، وأسروا البقية، أما بطل الفيلم مخلب الجاغوار فلم يستسلم، بل أخذ عائلته وخبأها في قاع البئر حتى يتفرغ للمقاومة، فقد كان له ابن وزوجة على وشك الولادة، وبعد أن عاد لحماية قبيلته تم إلقاء القبض عليه وأسر تاركا زوجته تعاني آلام المخاض مع ابنها في جو ماطر ومخيف داخل ذلك البئر كما تبين الصورتان. صورة فنية جميلة جدا تجعل المتلقي يتعاطف مع البطل إلى أقصى درجة، فهذه المرأة لم تعاني ألم فراق زوجها وموت أحبائها فحسب بل أجاها المخاض إلى قاع البئر والأمطار تسقط عليها من عل، فهل تنقذ ابنها الصغير من الغرق أم تنقذ نفسها وجنينها الذي ولد حديثا في موقف فيه من القسوة ما فيه، حاول المخرج من خلاله كسب تعاطف المتلقي، وإظهار صعوبة الحياة عندما يميل الناس إلى العنف والإرهاب، فتصبح الحياة صعبة بل مستحيلة في بعض الأحيان.

الصورة السابعة:



المصدر: فيلم أبوكاليتو <https://www.youtube.com/watch?v=D6SgqBz-ktc> الدقيقة 14.15

في هذه الصورة يظهر قائد قبيلة المايا وهو يقطع النهر بنظرات حادة وقد أكمل المهمة فيظهر هنا وهو يجر رفقة المحاربين الذين معه الأسرى بعد أن تم ربطهم، حيث يعيش الأسرى لحظات مرعبة من الخوف، وهم تحت القيد وليس لهم سبيل للفرار أو المقاومة، مكابدة عاناها أهل مقلب الجاغوار بين الموت والعذاب والأسر، تظهر الصورة كذلك طبيعة السلاح المستعمل في تلك المرحلة الزمنية، والمتمثل في العصا الغليظة والسكاكين والسيوف، حيث يريد المخرج أن يظهر من وراء الفيلم عامة وهذا المشهد خاصة، طبيعة تعامل أهل القارة الجديدة فيما بينهم، فقد كانوا في صراع دائم من أجل البقاء، ولم يكن بينهم توافق حسب نظرة الفيلم.

مشهد فيه الكثير من القسوة والعذاب، حيث يحاول المخرج القول أن الهنود الحمر ما هم إلا مجموعة من الهمج المتخلفين، الذين آثروا المصالح الضيقة على حساب المصلحة العامة للوطن، فملخص هذا المشهد، يحيلنا إلى مقولة مفادها البقاء للأقوى، أما الضعيف فيموت إما قتلا أو جوعا، أو أسيرا يضحي به للآلهة. طريق الموت هذا الذي نشاهده والمتمثل في نهر يفصل القبيلة المعتدية عن القبيلة المعتدى عليها، والمآل لن يكون فرجا في الأخير بل عذاب في طريق الذهاب إلى موت حتمي.

الصورة الثامنة والتاسعة والعاشر:



المصدر: فيلم أبوكاليتو <https://www.youtube.com/watch?v=D6SgqBz-ktc> بداية من الدقيقة 22.30

بداية من هذا المشهد يكتشف المشاهد، أن البطل وأهل قبيلته قد وصلوا إلى نهايتهم المحتومة، فقد اقتربوا من معبد الآلهة، وهم يتوجهون بخوف ورعب إلى مصيرهم المحتوم المتمثل في القتل بقطع رؤوسهم ورميهم من أعلى الهرم، وقد تم صبغ أجسادهم بلون السماء، وفي هذا دلالة على أنهم سوف يذهبون أضاحي من أجل أن ترضى السماء عن أهل تلك البلاد المتوحشة التي تؤمن بالطقوس العنيفة والتي لا طائل منها سوى سفك الدماء، وفي الصورة الثالثة نشاهد رجلا باللون الأحمر وهو يجرحهم إلى حتفهم حيث يمسك بالضحايا من الأرجل كما يمسكهم رجل آخر باللون الأصفر من الرأس وتنزل عليهم آلة القتل فتقطع الرؤوس وترمى الأجساد من أعلى الهرم. تتجلى هذه الصورة الرمزية البالغة عن طريق اللونين الأحمر والأزرق، لونا السماء الدم، ثم اللون الأصفر الذي يدل على لون الهتهم (الشمس)، إذ تتراءى لنا قسوة الصورة في تتابع المشاهد العنيفة والقاسية، حيث تقطع الرؤوس وترمى الأجساد، في طقس احتفالي رهيب يغلب عليه اللون الأحمر القاني لون الموت والقضاء.

وفي الصورة الثالثة نشاهد بطل الفيلم (مخلب الجاغوار) وهو ممدد على ظهره في المكان المخصص للإعدام، يتحلق حوله مجموعة من كهنة المعبد بعد أن لاحظوا أن الشمس قد اختفت وراء الظلام جراء ظاهرة الكسوف، ما جعل الكهنة يأمرهم بالتوقف عن القتل فينجو البطل بعد أن كان قاب قوسين أو أدنى من الموت،

فحسب معتقد أهل المايا فإن كسوف الشمس يعني بداية رضا الآلهة، واكتفائها بالأرواح المقدمة لها، هنا يعود البطل بذاكرته إلى نبوءة الطفلة التي قابلتهم أثناء أسرهم بقولها إن هذا الرجل سوف يجري بكم إلى نهايتكم المحتومة التي لا مفر منها.

الصورة الحادية عشر والثانية عشر:



المصدر: فيلم أبوكاليتو <https://www.youtube.com/watch?v=D6SgqBz-ktc> بداية من الدقيقة 28.00 والدقيقة

35.00

بعد أن نجى مخلب الجاغوار، من المذبحة الإلهية تبدأ رحلة هروبه من الموت، حيث تظهر لنا الصورة الحادية عشر بداية من الدقيقة الخامسة والعشرين فرار البطل من محاولة قتله أمام ساحة المعبد، فهو يجري وفي خلد أمران أما الأول فهو كيفية إنقاذ نفسه من الجحيم الذي وقع فيه، والثاني هو إنقاذ زوجته وابنه من الحفرة التي وضعهما فيها، ويحمل بين جنباته أمل نجاته بفعل تذكُّره لنبوءة الطفلة التي أخبرته أنه سينجو وأن حضارة المايا ستقنى، وانطلاقاً من هذه الصورة وحتى نهاية الفيلم لم يتوقف البطل عن الجري، وكأن بمخرج الفيلم يريد أن يقول للمتلقي أمراً ما وهو أن هذه الأرض لم تعد صالحة للعيش وأن السبيل الوحيد للبقاء على قيد الحياة هو الهروب.

أما في الصورة الثانية عشر وبداية من الدقيقة الخامسة والثلاثين، فيبدو البطل بلون أسود بعد أن اختبئ في حملاً مسنون من أجل إنقاذ نفسه من مطارديه، نلاحظه وهو يحمل بين يديه ورقة ملفوف فيها خلية نحل رماها على أعدائه الذين توجسوا خيفة من شكله الجديد ولونه الذي يشبه لون الجاغوار، من هنا يأتي معنى اسم البطل مخلب الجاغوار، فبداية من هذا المشهد، يقرر البطل المواجهة، بعد أن كان هارباً لزمان طويل وتوضح العبارة التي قالها أنه سوف يواجه ولن يتراجع إلى الوراء: "أنا مخلب الجاغوار وهذه الغابة غابتي ولا يجب أن أخاف بل يجب أن أواجه".

الصورة الثالثة عشر والرابعة عشر والخامسة عشر:



المصدر: فيلم أبوكاليتو <https://www.youtube.com/watch?v=D6SgqBz-ktc> بداية من 1.23.00

في نهاية الفيلم نكتشف المغزى الكامل لإيديولوجية ميل غيبسون من وراء إنتاج هذا الفيلم، فكل ذلك الصراع الذي شاهدناه كان بين أبناء القارة الأصليين، وهو صراع غير حضاري على الإطلاق، صراع يظهر مدى التخلف الذي كانت تعيشه القارة الأمريكية قبل مجيء الرجل الأبيض من وجهة نظر صانعي هذا الفيلم، صورة بانورامية في آخر الفيلم تظهر سفنا قادمة من بعيد وعلى متنها رجال غرباء وهم يحملون راية إسبانيا وصليبا وكتابا مقدسا، لقد جاؤوا مكتشفين وحاملين راية العلم والحضارة لبقعة أفنت نفسها بنفسها لأنها اعتمدت الخرافة والقتل والحروب الأهلية، فجاء الرجل الأبيض حاملا راية التقدم والرقى بمفهوم صناع الفيلم، وهو ما نفهمه من عبارة مخرج الفيلم في البداية "لن تستعمر أية حضارة إلا إذا دمرت نفسها بنفسها".

6. خاتمة:

يبدو الفيلم رائعاً، من الناحية الفنية والتقنية فالحركة لا تكاد تتوقف فيه، والشخصيات مثيرة للاهتمام ساحرة ومشوقة، أما قصة الفيلم فهي مأخوذة من مرحلة تاريخية تم طرحها بطريقة واضحة، فقد استطاع ميل غيبسون أن يقدم لنا المأساة بشكل سينمائي فريد من نوعه. فمأساة البطل مقلب الجاغوار. مثيرة للاهتمام فعلاً تجعل المتلقي يتعاطف معها وكأنها شخصية حقيقية، هذه الشخصية التي قدمها المخرج في شكل تعبير جسي أكثر من كونها شخصية حوارية، وقد ساعد على الرفع من قيمة الشخصية البطلة كل فريق العمل من ممثلين وتقنيين، وبخاصة الثلاثي مقلب الجاغوار Jaguar Paw والممثلان الآخران اللذان يلعبان دور Zero Wolf والمحارب العين الوسطى الذي يخلق تنافساً مبكراً مع الشخصية البطلة.

ولعل من أهم المعاني الدلالية التي يمكن أن نستشفها من الفيلم هو العودة إلى فريديريك نيتشه عندما يتكلم عن مفهوم الرجل الأعلى، فالمخرج حتى ولو بطريقة غير مباشرة، يريد أن يقول عند نهاية الفيلم أن الرجل الأبيض هو المنقذ من الضياع والجالب للحرية والتقدم والسلام، وأن سبب اندثار السكان الأصليين في القارة الجديدة هو همجيتهم وحروبهم الأهلية وتخلفهم الحضاري، وأن الرجل الأوروبي لم يفعل شيئاً سوى تقديم يد العون وإخراج القارة الأمريكية من براثن التخلف إلى سماء الحرية، وهذا ليس صحيحاً، بدليل الحروب الطاحنة التي حدثت بين الأوروبيين والسكان الأصليين والتي أدت في النهاية إلى مسح آثار الهنود تقريباً، فالأوروبي ليس كما صورته نهاية الفيلم، بل هو مستعمر لأرض ليست أرضه وحضارة ليست حضارته.

غير أن ما يجب أن يحسب للفيلم والمخرج، هو أنه استطاع بحرفية بالغة سبر أغوار المجتمعات المتخلفة بكاميرا فذة، فصور أهم مسببات الاندثار، لأن الضعف والشحناء الداخلية مهما كان مبررها عند أية أمة هي بداية النهاية حتى ولو كان تصوير الفيلم منطلقه إيديولوجية غربية تبرر الاحتلال الأوروبي للقارة الجديدة.

قائمة المراجع

- Haies, E. (2023, janvier 21). *Sir Humphrey Gilbert's Voyage To Newfoundland, 1583*. Récupéré sur Modern History Sourcebook: <https://sourcebooks.fordham.edu/mod/1585haies-gilbert.asp>
- التاريخ الإستعماري للولايات المتحدة (2023, جانفي 21). Récupéré sur <https://www.marefa.org/>
- الحبيب, س. (2018). فلسفة القوة عند نيتشه في المخيال السينمائي الأمريكي. مجلة آفاق سينمائية. 15, 05(01), Récupéré sur <https://www.asjp.cerist.dz/en/downArticle/158/5/1/54286>
- المطيري, ر. س. (2006). ديسمبر 26. (ميل غيبسون يبحث في مفهوم قابلية الإستعمار مجلة الرياض). Récupéré sur <https://www.alriyadh.com/212033>
- بلعوالي, ا. (2023, 22). (الموت على طريقة الكوبوي). Récupéré sur www.ahewar.org
- بن مسعود, ع. ا. (2023, 21). (فرانيسكو بيزارو). Récupéré sur <https://arabicpost.net>
- بن نبي, م. (2011). مشكلات الحضارة: المسألة اليهودية. دمشق: دار الفكر.
- نعنعي, ع. ا. (1973). تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية. بيروت, لبنان: دار النهضة العربية للنشر.